ملخّص برنامج : شهر رمضان ١٤٤١هـ على شاشة القمر

عبد الحليم الغِزّي

الحلقة (١)

التقليد ضرورة حياتية قبل أن تكون دينية – ق ١

عُرضت على قناة الفضائيّة ٢٥ / ٤ / ٢٠٢٠م

الموافق ١ / شهر رمضان / ١٤٤١هـ

www.alqamar.tv

إنّي حيَّرتُك فاحتاري ...

أخاطبُ نفسي وأُناجيها:

إنّي حيَّرتُكِ فاحتاري ...

ما بين عليّ الأعلى أو بينَ عليّ الكرَّارِ ..

إنَّي خيَّرتُكِ فاختاري ...

ما بين عليّ وعليٍ وعليّ وعليٍ وعليّ وعليّ وعليّ حتَّى تَخْمُدَ أَوْتَارِي ...

إنّي حَيَّرتُكِ فاحتاري ...

ما بين عليّ الأعلى أو بَيْنَ عليّ الكرَّارِ ...

إنّي خيَّرتُكِ فاختاري ...

ما بَيْنَ عليّ وعليّ وعليّ وعليّ وعليّ وعليّ حتَّى تخْمُد أَوتَاري ..

فعليٌّ قبل الأشياءِ ...

وعليٌّ بعد الأشياءِ ...
وعليٌّ فوق الأشياءِ ...
عينٌ لامٌ ياءٌ في كُلِّ الأقطارِ ...
فعليٌّ فِي الأفقِ الأعلى ...
وعليٌّ في الأُفقِ الأدنى ...
وعليٌّ في السَّاكِنِ والجارِ ...
إنّي خَيَّرتُكِ فاختاري ...
ما بَيْنَ الجنَّةِ والنَّارِ ...
نارِ العشقِ؛ عشقِ عليٍّ سرِّ الأسرارِ ...
أو نشوةِ جنَّاتٍ من ألطافِ عليٍّ نور الأنوارِ ...
إنّي خيَّرتُكِ فاختاري ...
ما بين غديرٍ يسمو يسمو في أنقى الأفكارِ ...
أو بَيْنَ حمارٍ يحملُ أسفاراً لا يدري ماذا في الأسفارِ ...
إنّي خيَّرتُكِ فاختاري ...
ما بَيْنَ غديرٍ يسمو يسمو يسمو في أنقى الأفكارِ ...
أو بَيْنَ حمارٍ يحملُ أسفاراً لا يدري ماذا في الأسفارِ ...
إنّي خَيَّرتُكِ فاختاري ...
ما بَيْنَ العَيشِ والموتِ على حقٍّ في جنبِ عليٍّ والأطهارِ ...
أو في خدمةِ أصنامٍ تافهةٍ تهزأُ بالأخبارِ ...
إنّي خَيَّرتُكِ فاختاري ...
ما بَيْنَ العَيشِ والموتِ على حقٍّ في جنبِ عليٍّ والأطهارِ ...

أو في خدمةِ أصنامٍ تافهةٍ تهزأُ بالأخبارِ ...
بالأخبارِ العلويَّةِ والأقوالِ الزهرائيَّةِ ...
ما عن باقرهم أو عن صادقهم في كُلِّ الآثارِ ..
إنّي خَيَّرتُكِ فاختاري ...
ما بينَ الجنَّةِ والنَّارِ ...
إنّي خَيَّرتُكِ فاختاري ...

*** *** ***

♦ التّقليد ضرورةٌ حياتِيّةٌ قبل أن تَكونَ دينيّة (ما بين التشيّع المرجعي السّبروتي والتشيّع المَهدوي الزّهرائي).

▪ التّقليد لغويّاً:

التّقليد في أصله اللّغوي يتألّف من (ق.ل.د)، الفعل الماضي: (قَلَدَ)، المصدر: (القَلْد).

في لغة العرب معنى كلمة (قَلَدَ): (جَمَعَ)..

كذلك من الاستِعمالات اللّغويّة لهذه المادّة يُقال: "تَقلّدَت المرأةُ قِلادَتَها" أي لبِسَت المرأة قِلادَتها (القِلادة: حُليٌّ زينةٍ للمرأة).

ويُقال أيضاً: من أنّ السُّلطان قَلَّدَ فُلاناً الوظيفة الفلانيّة، قد تأتي بمعنى: ألزَمهُ بذلك.

وقد تأتي بمعنىً أدقّ: كأنّ السّلطان هنا حينما قَلَّدَ فلاناً الوظيفة الفلانيّة، فكأنّهُ واثِقٌ بما سَيَقومُ به وهو راضٍ عن الّذي سَيَقوم به، فكأنَّ السّلطان هنا هو تابِعٌ لهذا الّذي قَلَّدَهُ ذلك الأمر، فإنّ ذلك الشّخص المسؤول بحسبِ قناعاته ضِمنَ الإرادة العامّة للسّلطان.. ولكن سيتصرّف وِفقاً لقناعته، لرُؤيته، فحينما قَلّده السُّلطان هذه المسؤوليّة فكأنّ السُّلطان صارَ تابِعاً لهذا فيما يَقومُ به هذا المَسؤول من عَمَل لأنّ السُّلطان راضٍ عنه وهو قد توقّعَ أن يَقومَ بالعمل على

أحسنِ وجه من دونِ أن يكون قد دَخلَ إلى ضميره وإلى مضمونِ ذِهنه.

في الثّقافة العامّة للّغة العربيّة: من أنّ التّقليد هو العَمل بالمُماثَلة، هذا المعنى في لغة العرب القديمة لا وُجودَ له وإنّما هو من المعاني الّتي استُحدِثَت بعد ذلك، فصارَ هذا العُنوان "التّقليد" في الثّقافة العامّة للّغة العربيّة يُطلق على المُماثَلةِ بالعَمَل، فحينما يقوم شخصٌ بتمثيلِ ما يَقوم به شخصٌ آخَر يُقال من أنّ هذا الشّخص قد قلَّدَه، جاء بما جاء به بنحوِ المُماثلة أو بنحوِ المُتابعة.

فقد استُحدِثَ هذا المعنى في الأجواء الدّينيّة، فصارَ "التّقليد" جُزءاً من الثّقافة الدّينيّة في أجواء المُخالفين وفي أجواء شيعةِ أهل بيت العِصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إمّا هو بمعنى المُتابعة والمُماثلة وبعبارةٍ أدقّ: "الطّاعة"، أنّ المُقَلِّدَ يُطيعُ المُقَلَّد، يُطيعه في القولِ الصّحيح ويُطيعه في الفِعل الصّحيح، هذه الطّاعة تأتي بطريق المُماثلة وبطريق المُتابعة: كأنَّ المُقلِّدَ يأتي بعمله كالقِلادة ويُلبِسُ المُقَلَّدَ هذه القِلادة، فكأنّ المُقلِّدَ هكذا يقول: "من أنّ عَمَلي هذا قد صُغتُهُ صياغةً مثلما أنتَ تقول -أنت الّذي أقلّدُكَ- ولذا فإنّ عَمَلي مُصاغٌ صِياغةٌ وِفقاً لما أنت تَقول، فهو مُرتبطٌ بك، هذا عمَلي قِلادةٌ أضعها في عُنُقِك".. قطعاً هذا برضا المُقَلَّد، مُرادي أنّ المُقلَّدَ هو الذي طَرحَ أقواله وآرائه والنّاس استشعرت من أنّه حينما طَرَحَ أقواله وآرائه، إنّما طَرَحها لأجل أن تعمل بها النّاس وإلّا لا يُشترط في عمليّة التّقليد أن يُفاتَحَ المُقلَّد هل هو راضٍ أم ليس راضياً، إنّما يُعرف ذلك من خلال تَصَدِّيه لهذا الأمر.

• خلاصة القول: "التّقليد" طاعة من يَصُحُّ تقليدُهُ -أتحدّثُ عن غير المعصوم- مرادي من الطّاعة هنا: أنّ الإنسان المُقَلِّدَ يأتي بعمله بنحوِ المُماثلة وبنحوِ المُتابعة وفقاً لما وَصلَ إليه مَنطِق وفتوى الّذي يَصُحُّ تَقليده، وبعبارةٍ أخرى فإنّ المُماثلة والمُتابعة في الجوِّ الدّيني هي طاعةٌ للدّين وليست طاعةً لهذا الّذي نُقلّدُهُ.. الطّاعةُ ليس للّذي نُقلِّدُه

من الفقهاء الطّاعة للدّين، والمراد من الطّاعة للدّين إنّها الطّاعة للإمام المعصوم، الطّاعة فقط للإمام المعصوم، لا تُوجد طاعة للفقيه ولا لغير الفقيه، الفقيه من شيعة أهل البيت، فلا توجد طاعة لأيِّ شيعيٍّ مهما كان ومهما وصفه النّاس بأيِّ وصفٍ من الأوصاف، لأنّنا إذا أوجَبْنا الطّاعة للفقيه فإنّنا قد وصفناه بالعِصمة حينئذٍ، إنّما نُطيعه بنحوِ المُماثلة والمُتابعة لأنّه يعكِسُ لنا ما يُريده المعصوم، فهي طاعةٌ حقيقيّة وفِعليّة للمعصوم.. في الثّقافة العامّة لكلّ المُجتمعات البشريّة هناك أنواع من التّقليد بمعنى المُماثلةِ والمُتابعة، فالتّقليد بهذا المعنى هو الشّائِع في الثّقافة الإنسانيّة العامّة وفي ثقافتنا الشّيعيّة أيضاً، التّقليد الدّيني يأتي في طوايا هذه الأنواع المُتعدِّدةِ.

▪ أنواع التّقليد:

• التّقليد البهائمي: هناك حيوانات وطيورٌ تُقلِّدُ الإنسان، البعض من هذه الحيوانات يُقلّدُ كلامَ الإنسان، أفعالَ الإنسان.. هناك طيورٌ تُقلّد الإنسان لكنّها لا تَعي كوعي الإنسان لكنّها تُقلِّده بطريق المُماثلة والمُتابعة.. لذا يُقال للشّخص الّذي يُرَدِّدُ الكلمات كما هي من دون أن يفهم معناها ودِلالَتَها يُقال له هذا ببَّغاء.

• التّقليد التّمثيلي: المُمَثّلون، عالم السّينما، عالم الدّراما.. وعالم تعليم الأطفال، فعالم تَعليم الأطفال هي عمليّة تقليدٍ تَمثيلي، الرّاوي (الحكواتي) يقوم بعمليّة تقليدٍ تَمثيلي لتقريب الفكرة عن الوقائع والأحداث الّتي يتحدّث عنها..

• التّقليد الوِراثي: تقليد الموروث، هناك موروثٌ اجتماعيٌّ، ثقافيٌّ، على مُستوى الأسرة، أو على مُستوى طائِفةٍ تُحصَرُ بعنوانٍ قومي أو بعنوانٍ ديني، أو بعنوانٍ مذهبي، لديها موروث يختلط فيه الجانب الاجتماعي والجانب السّياسي، والجانب الدّيني، والجانب الطّقوسي، والجانب الشّعائري ويبقى هذا الجيل يُقلِّدُ الجِيلَ الّذي قبله.. التّقليد الوراثي هو جزءٌ مهم من أجزاء حياتنا اليوميّة..

• التّقليد الفِطري: هو جزءٌ من كِيان الإنسان، ولا نستطيع أن نُفكّك بين حاجة الإنسان للتّقليد في حياته وبين طبيعته البشريّة، فالتّقليد هو جُزءٌ من الطّبيعة البشريّة، هو جزءٌ من الكِيان الإنساني.. هل يستطيع الإنسان أن يَستَغنيَ عن النّومِ مثلاً؟ لا يستطيع ذلك.. هل يستطيع الإنسان أن يستغني عن العلاج الطبّي؟ وعن التّمريض؟؟ وعن المداواة إذا ما أصيبَ الإنسان بمرض؟ هذه حاجاتٌ ضروريّةٌ تكون جُزءاً من الكيان الإنساني.. التّقليد الفطري هو جزءٌ من كيان الإنسان، ولا نستطيع أن نتصوّر الإنسان بشكلٍ طبيعيّ من دون التّقليد الفطريّ الّذي يُسهّلُ عليه الكثير والكثير من الصّعوبات في حياته.

الّذي لا يعلمُ شيئاً عن موضوعٍ مُعيّن إنّه يأخُذُ الخِبرةَ من الّذي يَملِكُ عِلماً بذاك، في بعض الأحيان قد يأخذ الخبرة بوعيٍ ومعرفةٍ للتّفاصيل، وفي بعض الأحيان يأخذُ الخبرة بنحوِ المُماثلة والمُتابعةِ فقط من دون أن يعرف الأسرار والتّفاصيل..

• التّقليد الدّيني: يأتي تحت يافِطة التّقليد الفِطري، التّقليد الدّيني ما هو بعنوانٍ قائمٍ بنفسه، هو جزءٌ من هذه الطّبيعة البشريّة.. التّقليد الفطري هو احتياج عديم الخبرة إلى صاحب الخبرة، التّقليد الدّيني يأتي في هذا السِّياق، فإنّ الّذي لا يملكُ علما ولا يملك خبرةً في الوُصول إلى الأحكام الدّينيّة -أتحدّث عن التّقليد في الأحكام الدّينيّة- فإنّ المتديّنَ الذي لا يملك خبرةً في الأحكام الدّينيّة يحتاج إلى ما يَنتُج عن صاحب الخبرة في الأحكام الدّينيّة، فهو مُحتاجٌ إلى هذه الخِبرة لكن هناك مُستويان من التّقليد الدّيني:

- المستوى الأصل وهو الّذي يُريده محمّد وآل محمّد: أنّ الّذي يُقلِّدُ في أمر الدّين من فقهاء الشّيعة لابدّ أن يكون مُتّصِفاً بأوصاف مُعيّنة، وبحسب الكتاب والعترة فإنّ هذه الأوصاف ليست خارجةً عن تكوين الخبرة، هذه الأوصاف تكون جُزءاً من الخِبرة، بينما الطّبيب مثلاً لا نحتاجُ فيه أن لا يكون شارباً للخمر، قد يكون الطّبيب شارباً للخمر

ولكنّه طبيبٌ حاذِق، وطبيبٌ صادِق لا يغُشُّ المريض، نعم لو كان هذا الطّبيب مُتنزِّهاً عن شُرب الخَمر كان أفضَل، هذا شيءٌ تَكميلي، لكنّ عمليّة شُرب الخمر بالنّسبة لهذا الطّبيب لا تُأثِّر على طبّه ولا على خِبرته الطِبيّة، بالنّسبةِ للفقيه المواصفات التي تتحدّث عنها الآيات والرِّوايات فيما يرتبط بمواصفات الفقيه، هذه المواصفات لها مَدخليّةٌ في وُصوله إلى الفتوى بنحوٍ صحيح، القضيّة قضيّة دينيّة فيها بُعدٌ غيبي ليست مُجَرَّدةً عن الغيب.

- أمّا في الواقع: هذا المعنى ليس موجوداً فلذا ستكون العمليّة عمليّة خِبرة فقط مثلما نعود إلى الطّبيب.. على أرض الواقع المراجع الّذين عايَشناهم وماتوا والّذين نُعايِشُهم الآن لا يَمتلكون ولا صِفةً واحِدة من الأوصاف الّتي يتحدّث عنها أهل البيت، وبالمناسبة هم لم يذكروا هذه الأوصاف في رسائلهم العمليّة، ذكروا لنا الأوصاف الّتي في الأعمّ الأغلب تتوفّرُ فيهم أمّا الأوصاف الّتي ذكرها أهل البيت فما ذكروها أصلاً وهذا اعترافٌ منهم من أنّ هذه الاوصاف لا تتوفّر فيهم، هذه قضيّةٌ عمليّةٌ واضحة جِدّاً، أذكِّرُكم من أنّ الفقيه بحسب مواصفات آل محمّد، ما يُذكر له من مُواصفات، هذه المُواصفات لها مَدخليّةٌ في تَكوين خِبرته لأنّها ستكون سبباً لتوفيقه لسدادهِ..

هناك مواصفاتٌ تكميليّة تكون في غير التّقليد الدّيني، لكن في التّقليد الدّيني المواصفات التي تُذكر في ثقافة الكتاب والعترة ما هي بمواصفات تكميليّة، إنّها تكون جُزءاً من الخبرة، فصلاحُ الفقيه هو جزءٌ من خبرته لأنّ صلاحه يُأثِّرُ في النّتائج العلميّة الّتي سيُقَدِّمُها لنا.

● كتاب (رجال الكشّي)، صفحة (١)، الحديث (٢): بسنده عن إمامنا الصّادِق صلوات الله وسلامه عليه: "اعرفوا منازِل شيعتنا بقدرِ ما يُحسِنون من رِواياتِهم عنّا -هذه خِبرةٌ علميّة ولكن نجدُ أنّ الإمام يَتحدّثُ عن صِفةٍ فيها نَفَسٌ غَيبيّ هي أهمّ وأهم بكثير من هذه الخِبرة العِلميّة إنّما تأتي معها وفي نفس السّياق- اعرفوا منازِل شيعتنا بقدرِ

ما يُحسِنون من رِواياتِهم عنّا فإنّا لا نعُدُّ الفقيه منهم فقيهاً حتّى يكون مُحَدّثاً" هذه الصِّفة فيها لمسةٌ غيبيّة واضِحة، هذه من صِفات الأنبياء، من صِفات الأوصياء، من صفات خَواصِّ الأولياء والحديث هنا عن فُقهاء الشّيعة !! الإمام يقول: فإنّا لا نَعُدُّ الفقيه منهم فقيهاً حتّى يكون مُحدّثاً، فقيل له: أوَ يكون المؤمن مُحدّثاً؟ -لأنّ هذا الوصف كيف يتحقّق في فقهاء الشّيعة! هذا الوصف وصفٌ غيبي! الإمام يُبيّنُ لنا من أنّه يتَحقّق فيهم بمُستوىً من المستويات ولكنّ هذا المستوى هو مستوى غيبي، يأتي عِبر تَسديد الإمام المعصوم- فقيل له: أوَ يكون المؤمن مُحدّثاً؟ قال: يكون مُفهّماً والمفَهَّمُ مُحَدّث- مُفهّماً وليس فاهِماً، فاهماً هو يفهم الأمور بنفسه بحسب الوسائل والآليّات التي تتوفّر لديه، أمّا أن يكون مُفهَّماً الجِهة التي تُفهّمُهُ واضِحةٌ هو الإمام المَعصوم يُفهّمه عِبر الغيب، هذا تَفهيمٌ خفيّ وليس تَفهيماً جَلِيّا..

"اعرفوا منازِل شيعتنا بقدرِ ما يُحسِنون من رِواياتِهم عنّا" هذه قضيّة علميّة وإن كانت الرّواية رَبطت بين إحسان الرّوايات وبين عمليّة التّفهيم، فعمليّة التّفهيم هنا هي جزءٌ من إحسان الرّوايات لذا فإنّ مراجع الشّيعة الّذين لا يَملكون هذه الصّفة ليسوا فُقَهاء في نظَر أهل البيت وإنّما في نَظر الشّيعة..

● كتاب (بحار النوار، ج٧٤) لشيخنا المجلسي، صفحة (٨٠)، إنّها وصايا رسول الله صلّى الله عليه وآله لأبي ذَر الغفاري: "يا أبا ذر إذا أراد الله عزَّ وجل بعبدٍ خيراً فَقَّهه في الدّين -فَهّمه- وزَهَّده في الدّنيا وبصَّره بعيُوب نفسه- فهذه الأوصاف هي جُزءٌ من الخِبرة، جزءٌ من الفقاهة- يا أبا ذر ما زَهِدَ عبدٌ في الدّنيا -أيُّ عبد؟ هذا يعني ما عندنا ولا مرجع زاهِد؟!- يا أبا ذر ما زَهِدَ عبدٌ في الدّنيا إلّا أنبَتَ الله الحِكمة في قلبه وأنطق بها لسانه ويُبصِّرُهُ عيوب الدّنيا ودائها ودوائها وأخرجه منها سالماً إلى دارِ السّلام".

هذه المواصفات تكون دخيلةً في تكوين الخبرة الفقهيّة بحسب موازين الكتاب والعترة لا بحسب موازين الشّيعة..